من نسيم
المبعث النبويّ

السيد عادل العلوي

موسوعة

رسالات إسلامية

رسالة

من نسيم المبعث النبوي

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٣ هجري قمري

التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم

المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٣ ـ ٧٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 78 - 3

اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٧٨٨ EAN 9789645915788

شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين.

فمن المباحث العصريّة[1] التي أُثيرت في ضُبابة من الشكوك والشبهات والأوهام في دائرة الثقافة المتحضّرة والتمدّن العصري عند بعض المتجدّدين والمثقّفين الليبراليّين (مبحث تعدّد الأديان وتكثّرها أو وحدتها) و (مبحث القراءات العديدة في فهم الدين وعدم الحقّ المطلق والتقدّس في القراءات المختلفة للدين) فإنّ في عالمنا اليوم أديان مختلفة متشابهة في كثير من الأُصول والعقائد وإن اختلفت في الفروع والأحكام، فهل تعدّد الأديان وكثرتها يدلّ على التسامح والتساهل في الدين في أبعاده الثلاثة: الحقّانية والمثوبة والسعادة.

وهنا نظريّات ثلاث:

---

(١) محاضرة إسلاميّة ألقاها الكاتب ارتجالاً في حسينيّة النجف الأشرف ـ مشهد المقدّس ـ ليلة المبعث النبويّ الشريف ٢٧ رجب الخير سنة ١٤٢٣ هـ ق.

١ ـ تكثّر الأديان.

٢ ـ الشموليّة في الدين.

٣ ـ الانحصاريّة والوحدة الدينيّة. على أنّ الحقّ إنّما هو في دين واحد من الأديان وبطلان ونسخ البقيّة.

والشموليّة بمعنى أنّ الحقّ في دين واحد إلّا أنّ الأديان الأُخرى تدخل بنحو وآخر في هذا الدين كما عند المسيحيّين بأنّ اليهوديّة والإسلام وكلّ الأديان ترجع إلى المسيحيّة في عبادة الله سبحانه، فكلّها على حقّ ما دامت داخلة في دين الحقّ.

وأمّا التكثّر في الأديان فيعني حقّانيّة كلّ الأديان وأنّها تحكي عن واقع واحد، فكلّ الأديان المعاصرة على صواب وحقّ وأصحابها من أهل الثواب والجنّة والسعادة، ويتوسّعوا في دائرة هذه النظريّة لتعمّ المذاهب في الأديان، كالمذاهب الإسلاميّة، ويستغربون أنّه كيف يقال: الإماميّة الاثني عشريّة هي الفرقة الناجية وأنّهم من أهل الجنّة وما سواهم من المسلمين من الهالكين وفي النار؟! فكلّ الأديان وكذلك المذاهب عند هؤلاء على حقّ، إلّا أنّ كلّ واحد إنّما يحكي تجلّياً من تجلّيات الحقّ، وخيط من خيوطه وأشعّته. ومن هذا المنطلق قالوا بتعدّد القراءات والتفاسير لفهم الدين الواحد، وكلّ واحد باعتبار ما يفهمه من الدين والمذهب يكون حقّاً، ومن أهل الطاعة والثواب والجنّة.

ومناقشة هذه النظريّة المتوغّلة عند بعض الشباب المتجدّد، وبيان بطلانها وانحرافها عن الحقّ والصواب، يستلزم أن نشير إلى أمرٍ هامّ مقدّمةً للجواب. وهو أنّ البحث عن تعدّد الأديان وحقّانيّتها تارةً باعتبار نفس الأديان النازلة من السماء على الأنبياء بالوحي والتنزيل، وأُخرى باعتبار الأديان التي بيد الناس

فعلاً، وأنّ اليهوديّة والمسيحيّة قد انحرفت عمّا نزلت، وأنّ التوراة والإنجيل بيد الناس محرّف، كما هو ثابت في محلّه.

ثمّ لا بدّ من القول أنّ الأديان إنّما نزلت في أُصولها وأحكامها بنحو تدريجي ومطابق للزمان المعاصر آنذاك، فكلّ دين إنّما يطابق فترته وعصره، وهذا يعني أنّ للزمان دوراً هامّاً في المناهج والأحكام في كلّ شريعة من الشرائع السماويّة، فإنّه ربما تنسخ الشريعة الثانية الشريعة الأُولى أو في بعض أحكامها.

والحقّ أنّ الأنبياء في رسالاتهم السماويّة قد اتّفقوا في أُمّهات التعاليم الدينيّة التي هي أصل الأُصول وهي عبارة عن إثبات التوحيد والمعاد، كما صرّح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

فالكلمة السواء إنّما هي كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وهذا هو الإسلام بالمعنى الأعمّ[2] الذي يضمّ الأديان السماويّة جمعاء، وإنّه دين واحد كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[3]؛ أي التسليم للحقّ.

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِنْ

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (الهدى والضلال على ضوء الثقلين)، مطبوع.

(٣) آل عمران: ١٩.

﴿ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ ﴾[١].

إلّا أنّ تسليم الحقّ يختلف باختلاف الزمان ومصاديق الحقّ، فكان في عصر المسيح الحقّ هو المسيح، كما أنّ في عصر النبيّ ﷺ الحقّ هو النبيّ محمّد ﷺ. فالإسلام حينئذٍ دين الله في عصر النبيّ هو نفس النبيّ ﷺ وإنّ الحقّ قرآنه، إذ في قوله تعالى:

﴿ وَبِالحَقِّ أنزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ ﴾[٢].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ﴾[٣].

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٤].

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾[٥].

كما أنّ في عصر الأئمة الأطهار مصداق الحقّ هو الإمام عليه السلام، فمن تمسّك به كان مسلماً حقّاً، وإنّه من أهل النجاة والسعادة والجنّة، كما ورد أنّ معرفة الإمام عليه السلام هو الجنّة.

ففي عصر النبيّ من يبتغِ غير الإسلام الذي جاء فلن يقبل منه، ثمّ العصور

(١) آل عمران: ٢٠.

(٢) الإسراء: ١٠٥.

(٣) يونس: ٤٧.

(٤) الرعد: ٧.

(٥) النحل: ٣٦.

الأُخرى من بعده من لم يتمسّك بخليفته ووصيّه المنصوص عليه من الله ورسوله فقد ضلّ سواء السبيل ولم يتمسّك بالإسلام الكامل والذي كمل الدين بالولاية المنصوبة من النبيّ بنصّ الله في مثل يوم الغدير.

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[١].

فمن لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة والكفر والضلال، وإن كان يعرف الرسول ويعرف الله سبحانه، لأنّ الحقّ في عصره إنّما يتمثّل بإمام زمانه الذي فيه التوحيد والنبوّة، كما فيه المعاد وكلّ المعارف والأحكام السماويّة.

فالإسلام هو التسليم لإمام الزمان عليه السلام الذي هو من التسليم إلى الله ورسوله ومن إطاعتهما والتمسّك بهما في المعارف والعمل؛ وكلّ الأديان تدعو إلى هذا التسليم فكلّها من الإسلام، فالمسيحيّة الحقّة التي تنسب إلى السماء وأنّها من الله سبحانه وتعالى اليوم تدعو إلى التسليم إلى الحقّ المتبلور بصاحب الزمان عليه السلام، وغير هذا فهي من المسيحيّة الأرضيّة، أي ما فعله الناس وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام، وليست المسيحيّة التي جاء بها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك الأديان الأُخرى.

فالأديان باعتبار نزولها السماوي لا المتلاعب به في الأرض إنّما هي من الحقّ الأعلى، وإنّها على الحقّ، وتدعو إلى الحقّ، ولا اختلاف في أُمّهات معارفها وحقائقها، ومن حقائقها أنّها تبشّر بالأنبياء التي من بعدها، فالإنجيل الحقّ يبشّر بنبيّ يأتي من بعد المسيح، وكذلك التوراة بالحقّ غير المحرّف والمتلاعب فيه يبشّر بالنبيّ محمّد ﷺ، كما في قوله تعالى:

(١) المائدة: ٣.

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[1].

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾[2].

فالدين حقيقة هو التسليم إلى الحقّ، وكلّ نبيّ يدعو إلى النبيّ الآخر كما يدعو إلى وصيّه من بعده، ومن هذا المنطلق نجد التركيز من النبيّ الأكرم على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعلى أنّه الحقّ كما في قوله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ أينما دار يدور» فالمقياس اتّباع الحقّ، وأنّه يتمثّل من بعده بعليّ عليه السلام ثمّ بالحسن والحسين عليهما السلام، فإنّهما إمامان قاما أو قعدا، ثمّ بالأئمّة التسع من ولد الحسين عليهم السلام، وإنّه يتمثّل في آخر الزمان بالمهدي القائم من آل محمّد عليهم السلام.

أمّا الأديان المتداولة في يومنا هذا فإنّ لها دعاوي متعارضة على طرفي نقيض، ومن المستحيل أن تكون الدعاوي المتناقضة كلّها على حقّ، فإنّه يلزم اجتماع المتناقضين وهو مستحيل عقلاً. فإنّ الإنجيل الذي بيد المسيحيّين اليوم يدعو إلى الأقانيم الثلاثة والقرآن ينفي ذلك ويراه كفراً وشركاً، وحينئذٍ كيف يكون القرآن على حقّ والإنجيل على حقّ، والمسيحيّة تدّعي قتل المسيح والقرآن يقول إنّه شُبِّه لهم ذلك، وإنّه رفع إلى السماء، فكيف يكون الإسلام على الحقّ والمسيحيّة على الحقّ؟! فمن دان بالإسلام لا يمكنه أن يعتقد بتكثّر الأديان

(١) الصفّ: ٦.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

والقول بالبلوراليسم والجمع بين الأديان في الحقّانيّة والوصول بها إلى السعادة.

ومن أعلام البلوراليسميّة أراد أن يفكّك بين الحقّانية والمثوبة والعقاب والسعادة، فإذا قيل الإسلام على الحقّ وأنّ اهله من السعداء ومن أهل الجنّة لا يعني أنّ غيرهم كلّهم في النار، بل العقاب والمثوبة مقولة غير مقولة الحقّ. وربما من أعلامنا من يقول بهذا على أنّ المسيحيّ إذا كان في طلب الحقّ ولم يهتد إلّا أن أطاع ما توصل إليه في طلبه للحقّ، فإنّه من أهل الجنّة أيضاً، كما يؤيّده المقولة الأُصوليّة (قبح العقاب بلا بيان) والمقبوليّة وإن كانت في الفقه إلّا أنّه كذلك في العقائد.

فمن تفحّص وكان في طلبه للهداية ومتابعة الحقّ إلّا أنّه لم يتوفّق ومات، فإنّه يكون من أهل النجاة استحقاقاً أو تفضّلاً، وربما يطلق عليه الاستضعاف.

فالقول بالبلوراليسم في الأديان الفعليّة باطل عقلاً ونقلاً، فلا بدّ من أخذ الدين الكامل وليس إلّا الإسلام المتبلور بالتوحيد والنبوّة والإمامة، والجامع لهذه الأُصول الثلاثة هي الولاية الإلهيّة العظمى، والأخذ بأشعّتها من الأحكام والقوانين والسلوك والأخلاق وفي كلّ مجالات الحياة. وهذا يعني الانحصاريّة في دين الحقّ، إلّا أنّ الأديان السماويّة الحقّة غير المنحرفة في جوهرها وكنهها تدعو إلى التسليم للحقّ في كلّ عصر ومصر، فهي داخلة في دين الحقّ أيضاً.

وهم القائلين بالتكثّر في الأديان:

ومن دعاة التكثّر في الأديان وتعدّد القراءات في الدين وإنّ كلّها على حقّ من استدلّ على توهّماته: أنّ الأديان نزلت بأمر واحد من الواحد الأحد، إلّا أنّه لا بدّ من تفسير وتبيين هذا الأمر، فالنبيّ في كلّ زمان كان يفسّر ذلك الأمر

بما يطابق زمانه، وما كان متداولاً في زمانه، وما حصل عليه من التجارب، ومثال ذلك عندما يذكر الله نعيم الجنّة، فيفسّرها النبيّ بحور العين وذات العين السوداء، وهذا لا يعني انحصار الجمال والنعمة فقط بذات العين السوداء، بل كان الجمال في عصره هكذا ففسّر النبيّ ذلك بما كان في عصره، وعليه ففي كلّ عصر سيختلف الجمال وتختلف القراءات للنصوص، كما تختلف البيانات والتفاسير، وقالوا إنّ القرآن بهذا الحجم الموجود إنّما هو تفسير أمر واحد خلال ٢٣ عاماً ولو كان عمر النبيّ أكثر من ذلك لزاد حجم القرآن فيمكن الزيادة والنقصان بحسب الزمان.

وهذا كلام باطل، فإنّه يتنافى مع القرآن نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[1]، فكيف يكون التوراة والإنجيل والقرآن المفاهيم الذهنيّة للأنبياء المنطبقة مع زمانهم وتجاربهم، وقوله: ﴿ وَبِالحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ ﴾[2]، فهذا القرآن هو القرآن السماوي الحقّ، وكلّه من الله وليس المفاهيم الذهنيّة لنبيّه ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِنْ لَدُن حَكِيمٍ ﴾[3]، لا من نفسه، وأرادوا بمقولتهم الباطلة هذه أن يطرحوا القرآن وقداسته جانباً فيما إذا خالف أفكارهم العصريّة، على أنّ القرآن لا يتماشى مع عصرهم المتمدّن وأنّه إنّما نزل قبل أربعة عشر قرن في محيط جاهلي وبيئة غير متحضّرة، وإذا حذفوا القرآن الكريم من بين المسلمين في مقام العمل والتطبيق فلم يبقَ لهم نوراً يستضاء به،

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

(٢) الإسراء: ١٠٥.

(٣) النمل: ٦.

فإنّ القرآن وأهله والناطق به، هو النور الإلهي في الحياة ويوم القيامة.

وأرادوا بهذا أن يكون القرآن الكريم محصوراً للتلاوة والثواب، وقراءته في المذياع، وفي القبور والألحان والتجويد والتعشّق به وتقديسه في الظواهر من دون أن يكون كتاب الحياة والثقافة والسياسة والاقتصاد وإصلاح الفرد والمجتمع وحكومة القرآن في كلّ أبعاد الحياة[1].

إلّا أنّ القرآن الكريم يرجع إلى واقع الأُمّة الإسلاميّة، ويشقّ طريقه ليشعّ أنواره في صحوتنا المعاصرة.

وعرف المسلمون حقيقة الأمر وكشفوا مخطّطات الاستعمار والاستكبار العالمي الغربي والشرقي في إبعادهم عن القرآن وعن فلسفة بعثة الأنبياء والمرسلين، لا سيّما خاتمهم وسيّدهم رسول الله وحبيبه محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله.

من أهمّ الخصائص في بعثة الأنبياء وإرسالهم على ضوء القرآن الكريم:

لقد ذكر الله سبحانه في آياته الكريمة فلسفة بعثة أنبيائه ورسله عليهم السلام، نشير إلى أهمّ النقاط، وهي كما يلي:

١ ـ عبادة الله والكفر بالطاغوت المتمثّل بالظالمين:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ ﴾[2].

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (القرآن الكريم في ميزان الثقلين)، مطبوع فراجع.

(٢) النحل: ٣٦.

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[١].

٢ ـ البشارة بالجنّة والإنذار من النار :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٢].

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٣].

﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٤].

٣ ـ إتمام الحجّة الإلهيّة على الناس والخلق بالأولويّة، فإنّ الإنسان أشرف الخلق :

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[٥].

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٦].

٤ ـ الهداية :

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٧].

---

(١) المؤمنون : ٣٢.

(٢) البقرة : ٢١٣.

(٣) الأنعام : ٤٨.

(٤) فاطر : ٢٤.

(٥) النساء : ١٦٥.

(٦) الإسراء : ١٥.

(٧) الرعد : ٧.

٥ ـ التعريض للثواب :

﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[١].

٦ ـ البلاغ المبين :

﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا البَلاغُ المُبِينُ ﴾[٢].

﴿ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾[٣].

٧ ـ التقوى والإصلاح :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ ٱتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٤].

٨ ـ الدعوة إلى التوحيد :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٥].

٩ ـ نزول البركات من السماء :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٦].

---

(١) آل عمران : ١٧٩.

(٢) يس : ١٦ ـ ١٧.

(٣) الأحقاف : ٢٣.

(٤) الأعراف : ٣٥.

(٥) الأنبياء : ٢٥.

(٦) الأعراف : ٩٦.

١٠ ـ الرحمة الإلهيّة :

﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾[١].

١١ ـ القيام بالعدل والقسط :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ ﴾[٢].

١٢ ـ التبيين :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣].

﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ ﴾[٤].

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالبَيِّنَاتِ ﴾[٥].

١٣ ـ التعليم والتربية :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[٦].

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

(١) الدخان : ٥ ـ ٦.

(٢) الحديد : ٢٥.

(٣) النحل : ٤٤.

(٤) يونس : ١٣.

(٥) يونس : ٧٤.

(٦) آل عمران : ١٦٤.

وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[١].

وإليك نبذة يسيرة من فلسفة بعثة الأنبياء والمرسلين على ضوء كلام أمير المؤمنين في نهجه البليغ.

قال عليه السلام : واصطفى سبحانه من ولده ـ ولد آدم ـ أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه، واتّخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين في معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وأمّر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة : من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يُخلِ الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة، رسلٌ لا تقصّر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم : من سابقٍ سمّي له مَن بعده، أو غابرٍ عرّفه من قبله. على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء[٢].

وقال عليه السلام : بعث الله رسله بما خصّهم به من وحيه، وجعلهم حجّةً له على خلقه، لئلّا تجب الحجّة لهم بترك الإعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحقّ إلّا أنّ الله تعالى قد كشف الخلق كشفةً، لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٣]، فيكون

(١) الجمعة : ٢.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١.

(٣) الكهف : ٧.

الثواب جزاءً والعقاب براءً[١].

وقال عليه السلام: وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه[٢].

فأهداف البعثة في كلامه عليه السلام:

١ ـ تبليغ الرسالة السماويّة.

٢ ـ وإحياء فطرة التوحيد.

٣ ـ ومحاربة الشيطان.

٤ ـ والرجوع إلى عبادة الله سبحانه.

٥ ـ والتذكير بنعمه المنسيّة.

٦ ـ وإثارة العلوم والفنون ودقائق العقول في وجودهم.

٧ ـ وإراءة آيات القدرة.

٨ ـ وإتمام الحجّة.

٩ ـ وبيان أوامره ونواهيه، وغيرها.

من نسيم بعثة خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله:

وأمّا بالنسبة إلى خصوص بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله فيقول عليه السلام كما يصوّر لنا الوضع الجاهلي آنذاك:

واشهدوا أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور والعَلَم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والأمر الصادع، إزاحةً

(١) الخطبة ١٤٤.

(٢) الخطبة ٩١.

للشبهات، واحتجاجاً بالبيّنات وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النجر، وتشتّت الأمر، وضاق المخرج وعَمِيَ المصدر، فالهدى خامل والعمى شامل، عصى الرحمن ونُصر الشيطان وخُذِل الإيمان، فانهارت دعائمه وتنكّرت معالمه ودرست سبله، وعفت شُرُكُه، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه وقام لواؤه، في فتن داستهم بأخفافهما ووطئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دارٍ وشرّ جيران، نومهم سهود وكحلهم دموع، بأرض عالِمها ملجم، وجاهلها مكرم[١].

وقال عليه السلام: أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأُمم واعتزام من الفتن، وانتشار من الأُمور، وتلظّ من الحروب، والدنياكاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منارُ الهدى، وظهرت أعلام الردى، فهي متهجّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف[٢].

وقال عليه السلام: إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارةٍ خُشن، وحَيّاتٍ صُمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجَشِب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون

(١) الخطبة ٢.

(٢) الخطبة ٨٩.

أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة[١].

وقال أيضاً عليه السلام: إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدّعي نبوّةً، فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم، وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، واطمأنّت صفاتهم[٢].

«بعثه والناس ضُلّال في حيرةٍ، وحاطبون في فتنةٍ، قد استهوتهم الأهواء، واستزلّتهم الكبرياء، واستخفّتهم الجاهليّة الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر، وبلاءٍ من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة»[٣].

وقال في خطبةٍ أُخرى: أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يدّعي نبوّةً ولا وحياً، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم، يحسر الحسير ويقف الكسير، فيقيم عليه حتّى يلحقه غايته، إلّا هالكاً لا خير فيه. حتّى أراهم منجاتهم وبوّأهم محلّتهم، فاستدارت رحاهم واستقامت قناتهم[٤].

هذا، وكلّما يمعن الباحث المحقّق النظر، ويسبر في مثل هذه الكلمات النورانيّة والعبائر العلويّة، وأمثالها الكثير من معدن النبوّة وأئمّة أهل البيت الأطهار عليهم السلام يقف على حقائق جديدة ومعارف سامية، تفتح آفاقاً يشعّ منها

(١) الخطبة ٨٩.

(٢) الخطبة ٣٣.

(٣) الخطبة ٩٥.

(٤) الخطبة ١٠٤.

أنوار الصباح المبارك. ويعرف أنّ الدين الإسلامي نبيّه الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله إنّما هو الدين الكامل الذي من يبتغِ غيره فلن يقبل منه، وإنّه الدين الخالد إلى يوم القيامة يتماشى في أحكامه وقوانينه الفطريّة مع كلّ زمانٍ ومكان، وعلى العلماء الأعلام أن يستنطقوا كتاب الإسلام القرآن الكريم أوّلاً، وسنّة نبيّ الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله ثانياً، وأحاديث أهل بيته الأطهار العترة الهداة الأبرار عليهم السلام ثالثاً، فإنّ القرآن والعترة هما الثقلان بعد رسول الله ما إن تمسّكنا بهما في كلّ مجالات الحياة في العقائد والفقه والأخلاق وغيرها فلن نضلّ أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا الحوض يوم القيامة[١].

فالنبيّ الأعظم محمّد أبرز شخصيّة خالدة في التاريخ الإنساني وفي الكون كلّه، قد تجمّعت في هذه الشخصيّة المتميّزة فيما سوى الله سبحانه كلّ معاني الجلال والجمال والكمال والفضيلة والمعالي، فإنّه الإنسان الكامل جامع الجمع مرآة أسماء الله وصفاته.

فاق النبيّين في خَلقٍ وفي خُلقٍ ... ولم يدانوه في فضلٍ وفي كرمِ
وكلٌّ من رسول اللهِ مرتشفٍ ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ

بلغ العلى بكماله ... كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله ... صلّوا عليه وآله

---

(١) ذكرت حديث الثقلين بالتفصيل سنداً ومتناً ودلالةً في كتاب (في رحاب حديث الثقلين)، مطبوع فراجع.

واستطاع رسول الله وحبيبه محمّد المصطفى ﷺ أن يوجد أُمّة حضاريّة ومتمدّنة قائمة على العلم والفنّ والفكر والحرّيّة والمساواة واحترام حقوق الإنسان وكلّ المكارم والفضائل الفرديّة والاجتماعيّة، بعد أن كانت تعيش الجاهليّة الجهلاء والظلاميّة في جميع مجالات حياتها.

يقول الكاتب (ويل ديورانت) في كتابه المعروف (قصّة الحضارة):

وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إنّ محمّداً كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجيّة حرارة الجوّ وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أيّ مصلح آخر في التاريخ كلّه... ودين بلاده القديم ديناً سهلاً واضحاً قويّاً...واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مئة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوّة ذات خطر عظيم في نصف العالم.

وقال الدكتور (مايكل هارت) الفلكي المعروف في هيئة الفضاء الأمريكيّة في كتابه (المائة الأوائل) وهو تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ: إنّ اختياري لمحمّد ليكون في رأس القائمة التي تضمّ الاختيار ربما أدهش كثيراً من القرّاء إلى حدّ أنّه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقادي أنّ محمّداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي. لقد أسّس محمّد ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميّين السياسيّين العظام، ففي هذه الأيّام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فإنّ تأثيره لا يزال قويّاً وعارماً ومتجدّداً.

ويقول الكاتب الكبير (برنارد شو): إنّي أُكنّ كلّ تقدير لدين محمّد ﷺ

لحيويّته العجيبة، فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أنّ له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيّرة، وصالح لكلّ العصور، لقد درست حياة هذا الرجل العجيب، وفي رأيي أنّه يجب أن يسمّى منقذ البشريّة.

أجل، هذا ما يشهد به غير المسلمين من العلماء والعباقرة، وأمّا نحن المسلمون فمن منّا يمكنه أن يصف نبيّه ويعرف مقامه ويقف على فلسفة بعثته، فما عندنا إلّا نسيم وشميم من تلك الواحة التي تسع الكون وما وراءه، فإنّ الله سبحانه قد فضّله على خلقه وكرّمه بكرامات لا تعدّ، وخصّه بمزايا عظيمة لا تحصى، وحباه بفضائل كثيرة، وأعطاه من المقامات الرفيعة والمنازل العالية منذ أن خلقه ما لم يعطه لأحد من قبله ولا من بعده، حتّى الأنبياء والمرسلين، فلولاه لما خلق الله الأفلاك.

وقد أعطاه الوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود، والكوثر بكلّ ما للكوثر من معنى، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1].

فلا يذكر الله تعالى بالتوحيد إلّا ويذكر من بعده محمّد ﷺ بالرسالة والنبوّة. ولم يناده الله تعالى باسمه وإنّما ناداه بأشرف الأوصاف فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾[3].

---

(١) الانشراح: ٤.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) الأنفال: ٦٤.

وقد خاطب الأنبياء من قبل بأسمائهم فقال :

﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾[١].

﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا ﴾[٢].

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾[٣].

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ﴾[٤].

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي ﴾[٥].

أجل، إنّ الله قد ذكر الأنبياء وخصّ منهم خمسة أُولي العزم وقدّم النبيّ عليهم مع تقدّم زمانهم، وإنّما فعل ذلك لبيان فضله وشرفه وتقدّمه على الجميع، فقال سبحانه :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾[٦].

وقد زكّاه تعالى بقوله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٧].

(١) البقرة : ٣٥.

(٢) هود : ٤٨.

(٣) هود : ٧٦.

(٤) ص : ٢٦.

(٥) المائدة : ١١٠.

(٦) الأحزاب : ٧.

(٧) الأنبياء : ١٠٧.

وزكّى عقله فقال :

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[١].

وزكّى فؤاده فقال :

﴿ مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[٢].

وزكّى بصره فقال :

﴿ مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[٣].

وزكّى لسانه فقال :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ﴾[٤].

وزكّى خلقه فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٥].

وزكّى دينه فقال :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٦].

ثمّ من يصل إلى مقام تزكية الخلق من قبل ربّ العالمين إلّا النبيّ الأعظم الذي أدّبه الله فأحسن تأديبه، فتخلّق بأخلاق الله وتجلّت فيه أسماؤه الحسنى

(١) النجم : ٢.

(٢) النجم : ١١.

(٣) النجم : ١٧.

(٤) النجم : ٣.

(٥) القلم : ٤.

(٦) النجم : ٤.

وصفاته العليا، حتّى قرب من ربّه قاب قوسين أو أدنى.

وأنّى لنا أن نصف النبيّ الأعظم، وقد مدحه الله ووصفه فانقطع الخطاب.

إنّ يهوديّاً من فصحاء اليهود قال لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام: أخبرني عن أخلاق رسولكم؟

فقال له عليه السلام: صف لي متاع الدنيا حتّى أصف لك أخلاقه.

قال اليهودي: هذا لا يتيسّر لي.

فقال عليه السلام: عجزت عن وصف متاع الدنيا، وقد شهد الله على قلّته في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾[1]، فكيف أصف لك أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وقد شهد الله تعالى بأنّه عظيم في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

لقد أكمل الله دينه بالإسلام، وختم البعثة والنبوّة بحبيبه وعبده ورسوله محمّد صلى الله عليه وآله، وما السعادة في الدنيا والآخرة إلّا بتطبيق دين محمّد صلى الله عليه وآله، فمن نسيم بعثته تحيى النفوس وتتكامل العقول وتزكّى القلوب وتطيب الأرواح، ويسعد الإنسان في معاشه ومعاده على كلّ الأصعدة والمجالات.

ختامه مسك:

وختاماً من الكرامات والمقامات التي أعطاها الله تعالى لرسوله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله أنّه تعالى أوجب على المسلمين والمؤمنين أن يصلّوا على نبيّهم في كلّ صلاة مفروضة ومندوبة، فقال عزّ وجلّ:

(١) النساء: ٧٧.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة ١: ١٤١.

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1].

هذا من أجمل التكريم الإلهي لنبيّه الأعظم، فإنّه لم يحظَ به أحد من الأوّلين والآخرين حتّى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

لقد سأل يهودي أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن فضل النبيّ صلى الله عليه وآله على سائر الأنبياء عليهم السلام وذكر له أنّ الله أسجد ملائكته لآدم عليه السلام فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وقد أعطى الله محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل من ذلك وهو أنّ الله صلّى عليه، وأمر ملائكته أن يصلّوا عليه، وتعبّد جميع خلقه بالصلاة عليه إلى يوم القيامة، فقال جلّ ثناؤه:

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾.

فلا يصلّي عليه أحد في حياته ولا بعد وفاته، إلّا صلّى الله عليه بذلك عشراً، وأعطاه من الحسنات عشراً بكلّ صلاة صلّى عليه، ولا يصلّي عليه أحد بعد وفاته إلّا وهو يعلم بذلك، ويرد على المصلّي السلام مثل ذلك، لأنّ الله جلّ وعزّ جعل دعاء أُمّته فيما يسألون ربّهم جلّ ثناؤه موقوفاً على الإجابة، حتّى يصلّوا عليه صلى الله عليه وآله، فهذا أكبر وأعظم ممّا أعطى الله آدم[2].

ثمّ أدام الله الرسالة المحمّديّة بالإمامة العلويّة، فكرّم الله سبحانه (آل محمّد) تكريماً خاصّاً يدلّ على إمامتهم على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أفضليّتهم على سائر الخلق بعد رسول الله، وذلك بأن أمر الناس بالصلاة

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) مستدرك الوسائل: الباب ٣١ من أبواب الذكر، الحديث ١١.

عليهم في كلّ صلاة.

يقول المحقّق الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين في كتابه القيّم (المراجعات)[١]: وحسبنا إيثارهم على من سواهم إيثار الله عزّ وجلّ إيّاهم حتّى جعل الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة المفروضة على جميع عباده، فلا تصحّ بدونها صلاة أحد من العالمين صدّيقاً كان أو فاروقاً أو ذا نوراً ونورين أو أنوار، لا بل لكلّ من عبد الله بفرائضه أن يعبده في أثنائها بالصلاة عليهم، كما يعبده بالشهادتين.

اللهمّ صلّ وسلّم على خير خلقك وأشرف رسلك وأوصيائك محمّد وآله الطاهرين المعصومين صلاةً دائمةً نامية طيّبة مباركة باقية، لا انقطاع لأمدها، ولا منتهى لأبدها، واجعل ذلك سبباً لشفاعتهم، ومغفرةً لذنوبنا وقربنا منك ومن أوليائك في مقعد صدق من جنّاتك ورضوانك برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنّ الصلاة على النبيّ وآله الأطهار دعاء يمثّل الصلة التكوينيّة والتشريعيّة بين العبد وربّه، وبين النبيّ وأُمّته، والموالي وأولياء النعمة والهداية، كما يمثّل الشكر والعرفان بالجميل لهم صلوات الله عليهم أبد الآبدين على ما بذلوه من أجل الدين وهداية الناس إلى سعادة الدارين.

وعبادة الله إنّما تتمّ وتكمل بمعرفة النبيّ والأئمّة من بعده وقبول ولايتهم والبراءة من أعدائهم.

عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف الله فإنّما يعبده هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك، فما معرفة

(١) المراجعات: ٥١.

الله؟ قال: تصديق الله عزّ وجلّ وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاة عليّ عليه السلام والائتمام به وبأئمّة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يعرف الله عزّ وجلّ[١].

فالمعرفة الواجبة والكاملة هي الإيمان بالله والرسول والأئمّة الاثنى عشر من بعده كلّهم من قريش.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٢]، قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أُولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: هم خلفائي يا جابر، وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ ابن الحسن بن عليّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّة الله في بلاده، ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله، فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟

(١) أُصول الكافي ١: ١٨٠.

(٢) النساء: ٥٩.

قال ﷺ: إي والذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّاها سحاب.

ثمّ قال: يا جابر، هذا من مكنون سرّ الله، ومخزون علم الله، فاكتمه إلّا عن أهله.

هذا، والهدف من خلقة الإنسان وفلسفة الحياة هو إيصال الإنسان إلى الكمال والسعادة المعبّر عنه في القرآن الكريم بالرحمة في قوله تعالى:

﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[١]، أي خلقهم للرحمة.

ولا يكون هذا الأمر إلّا بالعلم والعبادة، فإنّه سبحانه:

﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[٢].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، أي ليعرفون، كما عند الإمام الباقر عليه السلام.

عن الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام: إنّ الله ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه واستغنوا بعبادته عن سواه، فقال له رجل: بأبي أنت وأُمّي فما معرفة الله؟ فقال عليه السلام: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته[٤].

---

(١) هود: ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٤٠.

فإنّه ورد في حديث النبيّ ـ كما هو ثابت عند الفريقين السنّة والشيعة ـ أنّه قال: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة، ميتة الكفر والضلال.

وإنّما نحتفل في كلّ عام في ليلة المبعث النبويّ الشريف في يومه المبارك لنعرف ديننا ونقترب من نبيّنا وإمام زماننا، ونعلن البيعة والطاعة له، وبهذا نفوز بسعادة الدارين.

اللهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا فيها كرامة الدنيا والآخرة.

اللهمّ ما عرّفتنا من الحقّ فحمّلناه، وما قصُرنا عنه فبلّغناه، اللهمّ المُم به شعثنا واشعب به صدعنا، وارتق به فتقنا، وكثّر به قلّتنا، وأعزز به ذلّتنا، وأغنِ به عائلنا، واقضِ به عن مغرمنا، واجبر به فقرنا، وسدّ به خلّتنا، ويسّر به عسرنا، وبيّض به وجوهنا، وفكّ به أسرنا، وأنجح به طلبتنا، وأنجز به مواعيدنا، واستجب به دعوتنا، وأعطنا به سُؤلنا، وبلّغنا به من الدنيا والآخرة آمالنا، وأعطنا به فوق رغبتنا، يا خير المسؤولين وأوسع المعطين.

اشفِ به صدورنا، وأذهب به غيظ قلوبنا، واهدنا به لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنك، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وانصرنا به على عدوّك وعدوّنا إله الحقّ آمين. اللهمّ إنّا نشكو إليك فقد نبيّنا صلواتك عليه وآله، وغيبة وليّنا، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وشدّة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلّ على محمّد وآله، وأعنّا على ذلك بفتحٍ منك تعجّله وبضرٍّ تكشفه ونصرٍ تعزّه وسلطان حقّ تظهره، ورحمةٍ منك تجلّلناها، وعافيةٍ منك

تلبسناها، برحمتك يا أرحم الراحمين[١].

أين ابن النبيّ المصطفى، وابن عليّ المرتضى، وابن فاطمة الزهراء، وابن خديجة الكبرى؟ أين باب الله الذي منه يؤتى؟ أين وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء؟ أين السبب المتّصل بين الأرض والسماء؟ أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى؟ أين مؤلّف شمل الصلاح والرضا؟ أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء؟ أين الطالب بدم المقتول بكربلاء؟

بأبي أنت وأُمّي، ونفسي لك الوقاء والحمى، ليت شعري أين استقرّت بك النوى؟ بل أيّ أرض تقلّك أو ثرى؟ عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلق ولا تُرى، ولاأسمع لك حسيساً ولا نجوى، عزيزٌ عليّ أن تحيط بك دوني البلوى ولا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى... يا مولاي وابن مولاي، إلى متى وأيّ خطاب أصف فيك وأيّ نجوى؟ عزيزٌ عليّ أن أُجاب دونك وأُناغى، عزيزٌ عليّ أن أبكيك ويخذلك الورى... هل من معين فأُطيل معه العويل والبكاء...؟ هل إليك يا ابن أحمد سبيل فتلقى؟ هل يتّصل يومنا منك بعدة فنحظى؟ متى نرد مناهلك الرويّة فنروى؟ متى ننتفع من عذب مائك فقد طال الصدى؟ متى ترانا ونراك وقد نشرت لواء النصر؟ أترانا نحفّ بك وأنت تؤمّ الملا وقد ملأت الأرض عدلاً وأذقت أعدائك هواناً وعقاباً وأبرت العُتاة وجحدة الحقّ وقطعت دابر المتكبّرين واجتثثت أُصول الظالمين؟ ونحن نقول الحمد لله ربّ العالمين[٢].

اللهمّ إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعظّم والمرسل

(١) من دعاء الافتتاح في ليالي شهر رمضان، مفاتيح الجنان: ٢٩٩.

(٢) من دعاء الندبة، مفاتيح الجنان: ٥٣٧.

المكرّم أن تصلّي على محمّد وآله، وأن تغفر لنا ما أنت به منّا أعلم، يا من يعلم ولا نعلم. اللهمّ بارك لنا في ليلتنا هذه التي بشرف الرسالة فضّلتها وبكرامتك أجللتها وبالمحلّ الشريف أحللتها. اللهمّ فإنّا نسألك بالمبعث الشريف والسيّد اللطيف والعنصر العفيف أن تصلّي على محمّد وآله، وأن تجعل أعمالنا في هذه الليلة وفي سائر الليالي مقبولة وذنوبنا مغفورة، وأرزاقنا من لدنك باليسر مدرورة...

اللهمّ فصلّ على محمّد وآله، واجعل اليقين في قلبي والنور في بصري والنصيحة في صدر، وذكرك بالليل والنهار على لساني، ورزقاً واسعاً غير ممنون ولا محظور، فارزقني وبارك لي فيما رزقتني، واجعل غناي في نفسي ورغبتي فيما عندك برحمتك يا أرحم الراحمين[١].

اللهمّ وبارك لنا في يومنا هذا الذي فضّلته وبكرامتك جلّلته، وبالمنزل العظيم الأعلى أنزلته، صلّ على من فيه إلى عبادك أرسلته، وبالمحلّ الكريم أحللته. اللهمّ صلّ عليه صلاة دائمة تكون لك شكراً ولنا ذخراً، واجعل لنا من أمرنا يُسراً، واختم لنا بالسعادة إلى منتهى آجالنا، وقد قبلت اليسير من أعمالنا، وبلّغتنا برحمتك أفضل آمالنا، إنّك على كلّ شيء قدير، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم[٢].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

(١) مفاتيح الجنان: ١٥١، من دعاء ليلة المبعث ٢٧ رجب.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٥٤، من دعاء يوم المبعث.

الفهرست

وهم القائلين بالتكثّر في الأديان ٩
من أهمّ الخصائص في بعثة الأنبياء وإرسالهم على ضوء القرآن الكريم ١١
من نسيم بعثة خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله ١٦
ختامه مسك ٢٤
الفهرست ٣٢